مقياس : قضايا عربية معاصرة

المستوى: الثالثة ليسانس تاريخ

الأستاذ: بلال كشيدة

المحاضرة الخامسة: التيارات والأحزاب السّياسية الكبرى في الوطن العربي ومشاريع البناء والتغيير.

- **مفهوم الحزب السياسي:**

إن محاولة تقديم تعريف للحزب السياسي وفقا لخصائصه الجوهرية يجعلنا نواجه عدة عقبات أهمها:

- وجود عدة تسميات أو مصطلحات كالجبهة، الحركة، المؤتمر، التحالف، التجمع، الاتحاد...) لا تشير بالضرورة كلها إلى كيان سياسي واحد.
- وجود معاني متباينة لمصطلح الحزب السياسي (الانقسام الصراع المعارضة، التنظيم.
- إن الخصائص التي تفصل وتميز الحزب السياسي عن غيره من الكيانات السياسية الأخرى في حدود غير ثابتة وخصائص مؤقتة فقد يتحول نادي سياسي إلى حزب سياسي كما يمكن لجمعية أو نقابة أن تتحول هي الأخرى إلى حزب سياسي.
- إن بعض الأحزاب فيما كان يسمى بالعالم الثالث يصعب نمذجتها فهي كما وصفها سارتوري أولا " أحزاب مشوهة تختلف بشكل أو بآخر وبدرجات متفاوتة عن المعنى الحقيقي للحزب السياسي وأنها ثانيا أحزاب مؤقتة قصيرة العمر وأنها أحزاب ضعيفة هزيلة الإيديولوجية وهشة التنظيم"

إلا أننا يمكن أن نعرف الحزب السياسي بأنه تنظيم مفتوح ودائم ومنتشر على المستويين الوطني والمحلي بشكل كلي أو جزئي يتنافس مع أحزاب أخرى سعيا للتأييد الشعبي للوصول إلى السلطة أو المشاركة في ممارستها في إطار ائتلافات حكومية لتطبيق برنامج مشترك وإما القيام بدور المعارضة في البرلمان.

أو هو تنظيم دائم على المستويين القومي والمحلي يسعى للحصول على مساندة شعبية، بهدف الوصول إلى السلطة وممارستها، من أجل تنفيذ سياسة محددة.

وقد يكون النظام الحزبي السائد في الدولة هو نظام تعدد الأحزاب، أو نظام الحزبين السياسيين، أو نظام الحزب الواحد، فلا يمكن فهم طريقة سير أي نظام سياسي لدولة ما من

الناحية الواقعية إلا إذا عرفنا النظام الحزبي السائد، وعلاقات الأحزاب بعضها ببعض، وكيفية امتزاج النظام الحزبي بالنظام السياسي للدولة ككل.

- **نشأة الأحزاب السياسية في الوطن العربي:**

عرف المجتمع الإسلامي الأحزاب السياسية من خلال الفرق والأحزاب الإسلامية، إذ عرف المجتمع الإسلامي المعارضة والتعددية السياسية المنظمة منذ معركة صفين، فنشأت تيارات كبرى تقوم كل منها على رؤية للدين و التاريخ ودور الإنسان والموقف من السلطة والثورة، وكان أهمها الخوارج والشيعة والمعتزلة التي كان لها برامج ومشروعات للحكم تشترك في مناهجها الإجتماعية ومطالب مجتمعاتها ومستوياتها المعرفية.

وقد ظهرت الأحزاب السياسية بالمعنى الحديث للأحزاب خلال الفترة العثمانية مع بداية القرن التاسع عشر مع تأسيس نواة لحركة ثقافية وفكرية وسياسية عربية، وكان ذلك حتى سقوط الإمبراطورية العثمانية عقب الحرب العالمية الأولى.

والواضح أن الظروف التي أدت إلى نشأة الأحزاب السياسية في الوطن العربي تختلف عن نشأتها في الدول الغربية فالأحزاب السياسية العربية نشأت كرد فعل لممارسات التتريك إبان الحكم العثماني، ثم فيما بعد نشأت كرد فعل للممارسات القمعية للاحتلال الأجنبي، بالإضافة إلى أن الأحزاب السياسية في العالم العربي لم تولد من رحم الديمقراطية ولم تكن من اهتماماتها وأهدافها على الرغم من اهتمام رواد النهضة العربية بمسألة بناء الدولة الحديثة وفق أفكار عصر التنوير الأوروبي. وبالمقابل فإن الأحزاب السياسية في الغرب نشأت في إطار العمل البرلماني.

كما يرتبط تاريخ الأحزاب السياسية في العالم العربي ارتباطا وثيقا بتاريخ نشوء الدولة الأمة، ففي المملكة المغربية أو الجزائر أدت الأحزاب السياسية دورا هاما في حركات التحرير الوطني(حزب جبهة التحرير الوطني) ، واكتفت في حالات أخرى بدور ثانوي داعم للشخصيات أو الزعامات السياسية والطائفية(حزب الله في لبنان) ، وقد أفضى النضال الوطني وإزالة الاحتلال وبناء الوطن إلى ظروف سياسية وحزبية فريدة، بحيث شهد اليمن مثلا(قبل التوحيد) والعراق نماذج الحزب الواحد أو نماذج شبيهة لذلك تتخذ من تحالف الأحزاب واجهة لها ، وغابت الأحزاب السياسية في هذين البلدين بسبب الحروب الأهلية والتدخلات العسكرية

الأجنبية في بداية القرن الواحد والعشرين، مع ظهور الحركات الطائفية محل الأحزاب السياسية (المليشيات المسلحة الطائفية).

وتحول الحزب السياسي في الجزائر إلى الدولة أي (الحزب الدولة) حتى بعد التحول من الأحادية الحزبية إلى– التعددية الحزبية في حين تم حظر الحياة الحزبية في البحرين مثلا.
في المقابل تميز النظام التعددي في بلدان عربية أخرى بظهور تعددية حزبية محدودة يسيطر عليها النظام الملكي في المغرب أو النظام التوافقي في لبنان(نظام عشائري)، كما أن تجربة العمل السري مميزة وقد أثرت في مسار عدد من التنظيمات الحزبية.

- **خصائص الأّحزاب السياسية في الوطن العربي:**

- شيوع ظاهرة التحزب على حساب الظاهرة الحزبية
- قصر عمر الكثير من الأحزاب فهي تندثر مباشرة بعد تأسيسها، مع سيطرة الطابع العشائري أو النخبوي على معظم الأحزاب(الأردن، لبنان)
- ضعف القدرة على التعبئة وحشد الجماهير.
- عدم واقعية الخطاب السياسي للأحزاب السياسية العربية، فبعضها له طابع عالمي (عابر للحدود)غير مرتبط بالواقع المحلي للشعوب العربية.
- ضعف القاعدة الجماهيرية للأحزاب المنخرطين والمناضلين.
- عدم جدوى البرامج الانتخابية التي تظهرها الأحزاب السياسية العربية وتدافع عنها .

- **نماذج من التيارات والأحزاب السياسية في الوطن العربي**

1. المغرب:

تعتبر التعددية الحزبية في المملكة المغربية متجذرة منذ وقت طويل، مقارنة بالجزائر التى اختارت غداة استرجاع السيادة الوطنية نظام الحزب الواحد، وتعود إلى المرحلة الاستعمارية حيث كانت بداية العمل الحزبي عام 1930 ، تاريخ ظهور أول تنظيم حزبي ممثلا في" كتلة العمل الوطني"، الذي جاء ردا على إلحاق المغرب بوزارة المستعمرات الفرنسية، ثم توالى تأسيس الأحزاب، التي كان أهمها وأكثرها انتشاراً حزب الاستقلال"، الذي تأسس في ديسمبر 1943

وقد كان هدف هذه الأحزاب خلال الفترة الاستعمارية العمل على تحرير البلاد، وعندما حصل المغرب على استقلاله سنة 1956 ، ظهرت خلافات كبيرة حول المنطلقات السياسية لمغرب ما بعد الاستقلال خاصة بين" حزب الاستقلال "الذي ينطلق من دوره الريادي في تحرير البلاد، الذي يعطيه الأحقية في أن يكون الحزب الوحيد في البلاد مثلما حدث في أغلب البلدان المستقلة حديثا، وبين المؤسسة الملكية التي تراهن على شرعيتها المستمدة من تاريخها الذي يمتد إلى قرون .

2. موريتانيا:

لقد شهدت الجمهورية الإسلامية الموريتانية حركة حزبية وسياسية نشيطة منذ استقلالها، وتعكس كثرة الأحزاب السياسية المعتمدة فيها التوق الكبير إلى الحرية، و انفتاح شعبها على كافة التيارات والمذاهب الفكرية والسياسية، وكثيرا ما كانت تتأثر بالأفكار الوافدة، والتيارات السياسية فيها هي– في الواقع –انعكاس للحركات السياسية في المشرق العربي وبقية الدول المغاربية. ومع أن منطق القبيلة هو المسيطر على الملكية الاجتماعية في موريتانيا، إلا أن ذلك لم يحل دون انتشار الأفكار السياسية من كل الألوان في هذه القبيلة أو تلك.

ومن أقدم الأحزاب السياسية في موريتانيا" حزب الشعب الموريتاني" الذي تم حّله إثر انقلاب جويلية 1978 ، وهناك أحزاب كانت تعمل في السر،" كالحركة الديمقراطية الوطنية " والتي تأسست سنة 1968 ، و" حزب النهضة " الذي تأسس في الستينيات ، و"حزب الكادحين الموريتانيين "الذي تأسس في سنة 1973 م، و"حزب العدالة الموريتاني" الذي تأسس في باريس في سنة 1974 م، و"حزب البعث الاشتراكي "الموالي للعراق.

3. ليبيا:

إن الأحزاب والتيارات السياسية في ليبيا لم تنشأ تتطور في ظل نظام يبيح التعددية، فجلها قد نشأ كرد فعل لظاهرة رفض الاحتلال الأجنبي، ظهرت الارهاصات الأولى للنشاط الحزبي ممثلة في جمعية عمر المختار 04 أفريل 1943 والتي كانت تستقطب عناصر وفئات مختلفة من المجتمع الليبي، وعلى اثر قيام الجمهورية حاول معمر القذافي تطبيق ما سماه الحكم

التنفيذي للمؤتمرات واللجان الشعبية سنة 1977 وبذلك أصبح التكوين القبلي من أبرز العوامل التي أثرت في تشكيل الحياة السياسية في ليبيا وبذلك أسقطت فكرة الأحزاب السياسية، وبالرغم من اتساع رقعة الأحزاب السياسية في ليبيا بعد الحراك الشعبي الذي أطاحت تداعياته بالزعيم الراحل إلا أن الطريق لا يزال شاقا وصعبا في ظل الظروف التي تعيشها البلاد.

خلاصة:

يزداد الإدراك بأن ثمة علاقة معقدة ومتشابكة بين الحياة الداخلية للأحزاب وبين دورها في المجتمع وسلوكها في السلطة، وهو ما يؤكد على العلاقة بين الديمقراطية الداخلية للأحزاب السياسية وبين ديمقراطية النظام السياسي، لأنه من غير المتصور أن يكون الحزب ديمقراطيا في تعامله مع الأحزاب أو المنظمات الجماهيرية الأخرى، أو حتى الجماهير ذاتها، ما لم يكن يمارس هذه الديمقراطية في حياته الداخلية، لأنه لا يمكن بنائها بقوى وتنظيمات لا تؤمن بها وهو الأمر الذي يجعل منها داخل الأحزاب السياسية ضرورة ملحة لاستكمال تطورها.